المحاضرة الرابعة عشرة

الرواية الأمازيغية

الروايه الامازيغيه ص من الفنون الادبيه النثريه، وهي شكل من اشكال التعبير الامازيغي تناولها بالبحث والدراسة الكثير من الباحثين ، وتعد رواية" الحمار الذهبي" للوكيوس أبوليوس أو أفولاي أول نص روائي في تاريخ الإنسانية. وقد وصلتنا هذه الرواية كاملة، وهناك روايات قبلها لكنها وصلت ناقصة. ويعتبر هذا العمل الأدبي الإبداعي أيضا أول نص روائي فانطاستيكي في الأدب العالمي. ولا يمكن أن نتفق مع الذين ذهبوا إلى أن رواية "دونكيشوت" (1604م) لسرفانتيس - الكاتب الإسباني- أول نص روائي عالمي، أو مع الذين أثبتوا أن بداية الرواية قد انطلقت مع الرواية التاريخية الإنجليزية في القرن الثامن عشر (والتر سكوت، ودانيال ديفو، وفيلدينغ...). زد على ذلك أن رواية "الحمار الذهبي" هي المنطلق الحقيقي لظهور الرواية الأمازيغية في حين أن أعمال تيرينيس آفر تشكل البداية الفعلية للمسرح الأمازيغي في شمال أفريقيا[41]

الرواية الأمازيغية المنطوق والمفهوم:

قبل الحديث عن المقصود بالرواية الأمازيغية في الأدب الجزائري، أهي الرواية الجزائرية الأمازيغية أم الرواية الجزائرية المكتوبة بالأمازيغية، علينا أن نتبيّن المواصفات والمحددات والأبعاد الجوهرية التي ينبغي توافرها في الرواية كي تكون أمازيغية ،أهي الأصل الإثني لكاتبها وجنسيته ومكان ولادته ؟أم استعمال اللغة الأمازيغية أو إحدى تنويعاتها؟ أو أن الأمر مرتبط بالموضوعات المتناولة وبفضاءاتها وكيفية معالجتها؟

[41] مقال بعنوان أول عمل روائي إنساني https://www.diwanalarab.com/

وإننا نجد الإجابة عن هذه التساؤلات المحددة لمفهوم الرواية الأمازيغية عند الباحث "محمد أفقير":"أعتقد أن اللغة المستعملة هي المحدد الأساس والهام لتحديد هوية العمل الأدبي، لكن يصعب اعتبارها المحدد الوحيد وعلى هذا الأساس فإن الرواية الأمازيغية تتحدد هويتها الأمازيغية في إطار الرواية العالمية، ليس من الكتابة بالأمازيغية فقط،بل من كيفية تعامل الروائي مع أبعاد هذه اللغة بفضاءاتها وشخوصها وتراثها ومميزاتها الثقافية،وعلى هذا الأساس أيضا يمكن اعتبار كثير من الأعمال الروائية المكتوبة باللغات الأخرى روايات أمازيغية"[42]

الحصيلة المنجزة في الرواية الأمازيغية:

*رواية الحمار الذهبي لأبوليوس:

نشأ لوكيوس أبوليوس أو أبوليوس الماضوري في أسرة أرستقراطية في مدينة مداوروش بالجزائر قرب سوق هراس سنة 125م. إذ كان أبوه أحد الحاكمين الاثنين في أوائل القرن الثاني في هذه المنطقة، وكان أبوليوس أشهر كتاب وشعراء هذا العهد.

مضامين رواية الحمار الذهبي:

ظهرت قصة أبوليوس في مسخ الإنسان إلى حيوان ثم عودته الى حالته الأولى في أواخر القرن الأول بعد الميلاد أي حوالي سنة 170 م في قرطاج، وراوي هذه القصة هو لوسيان حيث حوّل البطل لوكسيوس إلى حمار الذي سيعود إلى صورته الآدمية الأولى بعد مغامرات عديدة تتخللها قصص جزئية متداخلة، تضمينا وتشويقا وتوليدا كقصة "بسيشية وكوبيدون" الرائعة في أبعادها الفاطاستيكية والأخلاقية.

هذا، وإن رواية الحمار الذهبي ذات طابع ملحمي وفانطاستيكي غريب، حيث تعتمد على فكرة المسخ وتحويل الكائن البشري الى حيوانات أو أشياء على غرار الإبداعات اليونانية. إذ يتحول لوكسيوس في هذه الرواية إلى حمار بسبب خطأ حبيبته فوتيس التي كان يحبها لوكيوس كثيرا حينما ناولته مادة دهنية هي ملك سيدتها بامفيلا زوجة ميلون التي تمارس السحر في غرفتها السرية، وبهذه المادة يتحول الكائن البشري إلى أنواع من الطيور والكائنات الخارقة التي تجمع بين الغرابة والتعجيب. وعندما سمع لوكيوس الشاب أسرار سحر هذه المرأة دفعه تطفله وفضوله إلى أن يأمر فوتيس بجلب دهن الساحرة ليجربه قصد التحول إلى طائر لينأى عن الناس ويهاجر حيال عالم المثل بعيدا عن عالم الفساد والانحطاط البشري. بيد أن فوتيس جلبت له مادة دهنية سامة تحوّل الإنسان إلى حمار. وبعد مغامرات صعبة ذاق فيها لوكيوس أنواعا من العذاب والهلاك وتعرف عبرها مكائد البشر وحيلهم يعود إلى حالته الآدمية الإنسانية بعد أن تدخلت الآلهة إيزيس لتجعله راهبا متعبدا وخادما وفيا لها.

وبتعبير آخر، إن لوكسيوس بطل القصة، اتجه نحو مدينة "تسالي" لأمور تخص أسرته، فنزل على فتى بخيل ضيفا له، فكانت لذلك المضيف الشحيح امرأة ساحرة تتحول إلى أشكال مختلفة إذا دهنت نفسها بأنواع من الزيوت الخاصة بالمسخ والتحويل، فطلب "لوكسيوس" من عشيقته فوتيس أن تدهنه ليتحول الى مخلوق آخر، بيد أنه تحول إلى حمار، بعدما أن

---

[42]/ قراءات في الرواية الأمازيغية،عمل جماعي،محمد أفقير،الرواية الأمازيغية بالمغرب، النشأة والحصيلة،دار السلام،الرباط،،2014،ص8

أخطأت فوتيس خادمة بامفيلا الساحرة في اختيار المحلول المناسب للمسخ، وهكذا يتعرض لوكسيوس/ الحمار لكثير من العذاب جوعا وقسوة فظل أسير المعاناة والتنكيل والاضطهاد في أيدي الكثير من البشر بما فيهم اللصوص والرهبان.

وبعد انتقاله من يد إلى يد، كان يطّلع في مغامراته السيزيفية على كثير من خبايا البشر وقصصهم وحوادثهم وتجاربهم، ويعرف ضروب الفسق الآدمي، علاوة على العار، وضربات العصا والظلم في مخاطرات كثيرة إلى درجة كرهه للإنسان الذي انحط انحطاطا خلقيا، ولم يتحول إلى حالته الأولى إلا على يد كاهن يحرس معبد الآلهة "ايزيس".

إن قضية المسخ قديمة إذ وجدت في الملاحم القديمة حيث كان الإنسان يتحول إلى قرد أو حيوان أو سمكة أو شجرة أو حجرة، ويستند هذا المسخ في القديم إلى طقوس وعقائد شعبية، ففي "أوديسية" هوميروس الشاعر اليوناني مسخ أصحاب "يوليوس" إلى خنازير. كما توجد في أشعار يونانية قديمة قصائد ومقطوعات موضوعها قصص المسخ التي ضاع منها الكثير[43]

ويعبر تحول لوكسيوس إلى حمار عن فكرة المسخ الحيواني والعقاب القاسي لكل متطفل فضولي لم يرض برزقه وبشريته وإنسانيته، كما يحيل على ذلك الجزاء الذي يستحقه الزناة ومنحطو الأخلاق، ذلك أن لوكسيوس سيدخل في علاقات جنسية غير شرعية مع خادمة مضيفه ميلون، وقد يدل هذا المسخ على انحطاط الإنسان وعدم سموه أخلاقيا. ولن يعود البطل إلى حالته البشرية إلا بعد التوبة والدعاء باسم الآلهة والتخلص من نوازعه الإيروسية وانفعالاته البشرية العدوانية وتدخل المنقذة إيزيس. لذلك نلفي الكاتب يشيد بإيزيس الآلهة المخلصة وبالديانة الشرقية وفي نفس الوقت يسفه بالديانات الرومانية وانحطاطها الأخلاقي بله عن وصفه لبعض العادات والتقاليد السائدة في عصره وهجوها نقدا وتسفيها. وقد آل هذا التحول الفانطاستيكي إلى معنى رمزي يجسد انحطاط الإنسان ونزوله إلى مرتبة الحيوان حينما يستسلم لغرائزه وأهوائه الشبقية وانفعالاته الضالة، بيد أن النجاة في الرواية لن تتحقق سوى عن طريق المحن والابتلاءات والاختبارات المضنية والاستعانة بالتوبة واسترضاء الآلهة.

ومن القصص الدخيلة الهامة في الرواية قصة الفاتنة "بيسيشية" وحب الإله "كوبيدون" لها، ثم هيامها به، وتعرضها لكثير من المحن في سبيل ارتقائها إلى مرتبة الخلود وهي تشغل في القصة جزءا من الكتاب الرابع ثم الكتاب الخامس وجزءا من السادس، وقد اتخذت فيما بعد رمزا للحب الإلهي وارتقائه بالنفس الى مرتبة الخلود

***مجموعات روائية أخرىفي الجزائر:**

-رواية ولى الجبل لآيث علي سنة 1940

-رواية ثافرارة لسالم زانية في 1995

-رواية آسفل(الأضحية) لرشيد عليش في 1990

---

[43] ينظر،محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، ط 1983،ص: 203 الهامش

رواية عمر مزداد إيظ ذ واس(ليلة ونهار) في 1990

-ايظ نلحني لحميد قرين ترجمة طاهر بوخنوفة في 2014

-تغرمين يتمتشان محمد صاري ترجمة حبيب الله منصوري في 2014

قر ايقني ذ تمورث ديهيا لويز في 2016

-آمك ارا تتظظ سق توشنت يرنا اوكست ارا(كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك) لعمارة لخوس ترجمة مقران شيخي في 2019آكسل ذ ديهيا لمحمد الصالح أونيسي في 2018

-تاجدجيقث ن تيزقي لفضيل لوناس في 2017

التطبيق الرابع عشر والأخير:

رواية الحمار الذهبي الروايات التي حظيت بدراسة الكثيرين.

واستخرج منها أبعاد هذه الحكاية الإنسانية والاجتماعية والواقعية.وقم بدراسة وصفية قصيرة لما أضافته الترجمات الكثيرة الفنية

الخاتمة:

في الختام يمكن القول إنّ هذه المحاضرات الأربعة عشرة سمحت لنا بمعرفة المشهد الأكاديمي والتاريخي للأدب الجزائري الأمازيغي في مراحله السابقة والرّاهنة، وهي بمثابة نافذة يطلّ من خلالها المتلقون(طلبة، باحثون وأساتذة...) على جزء هام من الأدب الجزائري الأمازيغي الذي استغل الباحثون ،بطريقة فنية ، مادته التراثية المجسدة أساسا في الأجناس الأدبية الشفوية المتوارثة، كالأسطو رة، والقصص الشعبي، والأقوال المأثورة، من أمثال وحكم،وكشفوا عن أبعادها الفلسفية والفكرية،ومكنوناتها القيمية.
ولقد كشفت هذه المحاضرات عن جوانب التطور التي حققتها الإنتاجات الأدبية الأمازيغية ضمن مسارها الانتقالي من مناخات إبداعية تقليدية إلى أخرى حداثية،والوصول عن طريق الدراسة إلى إبراز أهم مميزاتها التي جعلت الأدب الأمازيغي يرقى إلى مستويات إبداعية غير مألوفة في الموروث التقليدي.